القسم

الغرض من القسم توكيد الكلام وتقويته[1] ، فاذا أقسمت على شيء فقد اكدته . ويطلق على القسم اليمين والحلف ايضا . ولفظهما يفيد معنى القوة .

فاليمين : من معانيه القوة والقدرة . جاء في (لسان العرب) : "واليمين القوة والقدرة ... وفي التنزيل العزيز (لاخذنا منه باليمين)[2] .

قال الزجاج : أي بالقدرة"[3] .

فلعل اليمين التي هي القسم اخذت من هذا المعنى لأنها تقوية للكلام ، وقيل بل "سميت اليمين يمينا لأنهم كانوا إذا تحالفوا ضرب كل امرئ منهم يمينه على يمين صاحبه ... وقال بعضهم : قيل للحلف يمين باسم يمين اليد وكانوا يبسطون أيمانهم إذا حلفوا وتحالفوا وتعاقدوا وتبايعوا"[4] .

وفي هذا المعنى ايضا معنى القوة لان يمين الانسان اقوى من شماله .

الحلف : وأما الحلف فلا يخلو معناه من القوة ايضا . فمن هذه المادة اللغوية نفسها (الحِلْف) بالكسر وهو "العهد يكون بين القوم ، وقد حالفه أي عاهده وتحالفوا أي تعاهدوا ... قال ابن الاثير : اصل الحلف المعاقدة والمعاهدة على التعاضد والتساعد والاتفاق"[5] .

فالمعاقدة والمعاهدة والمحالفة قوة ولاشك ولعل الحلف الذي هو القسم مأخوذ من هذا المعنى لانه تقوية للكلام .

وقيل بل المحالفة التي هي المعاهدة مأخوذة من (الحلف) الذي هو (اليمين) فقد قال الليث : "حالف فلان فلانا فهو حليفه وبينهما حِلْف ، لانهما تحالفا بالأيمان ان

---

(١) انظر كتاب سيبويه ١/ ٤٥٤ ، شرح ابن يعيش ٩/ ٩٠ .

(٢) الحاقة ٤٥

(٣) لسان العرب (يمن)

(٤) لسان العرب (يمن)

(٥) لسان العرب (حلف)

المائدة ٨٩﴾ وهو في حنث اليمين. وقال: ﴿ويحلفون على الكذب وهم يعلمون – المجادلة ١٤﴾ وقال: ﴿وليحلفُنّ إن اردنا الاّ الحسنى والله يشهد إنهم لكاذبون – التوبة ١٠٧﴾.

وأما القسم فهو عام استعمله القرآن في الكذب والصدق. قال تعالى على لسان ابليس ﴿وقاسمهما إني لكما لمن الناصحين – الاعراف ٢٠﴾ وهو كذب. وقال: ﴿أوَلم تكونوا أقسمتم من قبل مالكم من زوال – ابراهيم ٤٤﴾، وقال: ﴿وأقسموا بالله جَهد أيمانهم لئن امرتهم ليخرُجنّ قل لاتقسموا طاعة معروفة – النور ٥٣﴾. وهذا كله حنث وكذب.

واما ما ورد في غير ذلك فنحو قوله تعالى ﴿فلا أقسم بمواقع النجوم وانه لقسم لو تعلمون عظيم – الواقعة ٧٥، ٧٦﴾.

وقال: ﴿فلا أقسم برب المشارق والمغارب إنا لقادرون – المعارج ٤٠﴾.

أنواع القسم

القسم نوعان:

أ- ظاهر أو صريح: "ويستدل عليه بحرف القسم مثل قوله تعالى: ﴿والسماء ذات الحُبُك إنكم لفي قول مختلف- الذاريات ٧، ٨﴾ أو يستدل عليه بفعل القسم كقول الشاعر!

وأقسم لا أنساك ما ذرّ شارق وما هبّ آلٌ في ملمعة قفر

أو يستدل عليه بالحرف والفعل معا كقوله تعالى: ﴿وأقسموا بالله جَهد أيمانهم لئن جاءتهم ليؤمنُنّ بها- الانعام ١٠٩﴾.

أو يستدل عليه بلفظ من ألفاظ القسم اسماً كان أو مصدراً كقول امرئ القيس:

فقلت يمين الله أبرح قاعدا ولو قطعوا رأسي لديك وأوصالي"(١٠)

---

(١٠) أساليب القسم في اللغة العربية- كاظم فتحي الرواي ٣٢- ٣٣، وأنظر الكليات لابي البقاء ٢٩٠.

ب- مضمر أو غير صريح : وهو ما دلت عليه اللام نحو﴿لتُبلَوُنّ في أموالكم وأنفسكم- آل عمران ١٨٦﴾ ونحو﴿لئن أُخرجوا لايخرجون معهم- الحشر ١٢﴾ وقوله﴿ولقد صدقكم الله وعده- آل عمران ١٥٢﴾.

جاء في (الكتاب) : "وسألته [يعني الخليل] عن قوله (لتفعلن) إذا جاءت مبتدأة ليس قبلها ما يحلف به ، فقال : إنما جاءت على نية اليمين وان لم يتكلم بالمحلوف به"[١١] .

أو دل عليه المعنى نحو﴿وإنْ منكم الاّ واردها- مريم ٧١﴾[١٢] .

وكقولهم : (علم الله) و(شهد الله) و(عمرك الله) و(عاهدت الله) لافعلن و (علّي عهد الله لأفعلن)[١٢أ]

أحرف القسم

أشهر أحرف القسم : الواو والباء والتاء واللام.

الواو: وهي أكثرهن استعمالاً في القسم[١٣] ، وهي والتاء تختصان به من بين حروف الجر.

ولا يذكر فعل القسم معها فلا يقال : أقسم والله ، ولا تدخل على الضمير فلا يقال : وك يقال : بك[١٤] .

وتدخل على كل مقسم به : قال تعالى : ﴿والفجر وليال عشر- الفجر ١﴾ ، وقال : ﴿والليل إذا يغشى- الليل ١﴾ ولاتختص بلفظ الله تعالى.

---

(١١) الكليات لابي البقاء ٢٩٠ ، أساليب القسم في اللغة العربية ٣٦- ٣٩.
(١٢) كتاب سيبويه ١/ ٤٥٥.
(١٢أ) أنظر كتاب سيبويه ٢/ ١٤٧ ، الهمع ٢/ ٤٤- ٤٥ ، شرح الرضي على الكافية ٢/ ٣٧٨.
(١٣) كتاب سيبويه ٢/ ١٤٣.
(١٤) أنظر الرضي على الكافية ٢/ ٣٧٠.

الباء : ويجوز ذكر فعل القسم معها وحذفه. تقول : أقسم بالله لأقولَنّ الصدق. قال تعالى : ﴿فلا أقسم بمواقع النجوم وإنه لقسم لو تعلمون عظيم. إنه لقرآن كريم- الواقعة ٧٥- ٧٧﴾. ﴿وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن أمرتهم ليخرجُنّ- النور ٥٣﴾.

وتقول : (بالله لأقولنّ الصدق). قال تعالى ﴿فبعزتك لأغوينّهم أجمعين- ٨٢﴾، وقال الشاعر:

بربك هل ضممت إليك ليلى

وتدخل على الظاهر والمضمر فتقول : أقسم بك يارب لأ سعين في الخير.

وتختص الباء بالجواب الطلبي والاستعطافي فتقول : (بالله عليك افعل هذا ولا تفعل هذا) و(هل فعلت هذا؟) و(إلا فعلت هذا)، ولا يجوز ذلك في غيرها فلا تقول : (والله افعل هذا أو لاتفعل هذا أو هل فعلت هذا).

جاء في (الهمع) : "إختص بها [أي باء القسم] الطلب والاستعطاف فلا يقسم فيها بغيرها نحو بالله أستُخبرني؟، وبالله هل قام زيد؟ أي أسألك بالله مستحلفا"[١٥].

التاء : وتكاد تختص بلفظ الله تعالى ولم ترد في القرآن الكريم الاّ معه قال تعالى : ﴿وتالله لأكيدنّ أصنامكم- الانبياء ٥٧﴾، وقال : ﴿تالله إن كدت لتُردين- الصافات ٥٦﴾.

وفيها معنى التعجب والتفخيم. قال تعالى على لسان اخوة يوسف لابيهم : ﴿تالله إنك لفي ضلالك القديم- يوسف ٩٥﴾ متعجبين من بقاء أبيهم على حاله لم يتغير ولم يتبدل مع طول العهد. وقال أيضاً على لسان اخوة يوسف لاخيهم يوسف : ﴿تالله لقد آثرك الله علينا- يوسف ٩١﴾ متعجبين مما حصل له من علو منزلة ورفعة مكانة وما جرّت له فعلتهم من الخير على غير ما كانوا يتوقعون ويؤملون.

---

(١٥) الهمع ٢/ ٣٨ وانظر إبن يعيش ٩/ ١٠٠.

جاء في (الكشاف) في قوله تعالى: ﴿وتالله لاكيدن أصنامكم- الانبياء ٥٧﴾: "فإن قلت: ما الفرق بين الباء والتاء؟

قلت: إن الباء هي الاصل والتاء بدل من الواو المبدلة منها. وإن التاء فيها زيادة معنى وهو التعجب كأنه تعجب من تسهل الكيد على يده وتأتّيه لان ذلك كان أمراً مقنوطاً منه لصعوبته وتعذره"[١٦].

ومن التفخيم قوله تعالى: ﴿تالله لتسألن عمّا كنتم تفترون- النحل ٥٦﴾، وقوله: ﴿تالله لقد أرسلنا الى أمم من قبلك- النحل ٦٣﴾.

ويبدو أن القسم بها آكد وأفخم من الواو لاختصاصها باسم الله سبحانه.

اللام: وهي مختصة بلفظ (الله) تعالى ولاتستعمل في القسم الاّ إذا أريد به معنى التعجب. قال سيبويه: "ولا يجيْ الا أن يكون فيه معنى التعجب. قال أمية بن عائذ:

لله يبقى على الايام ذو حيد بمشمخر به الظيّان والآس"[١٧].

وجاء في (شرح الرضي على الكافية): "قوله وبمعنى (الواو) في القسم للتعجب نحو (لله لايؤخر الاجل). قولهم (في التعجب) يعنون في الامر العظيم الذي يستحق أن يتعجب منه فلا يقال: لله لقد قام زيد، بل يستعمل في الامور العظام نحو: لله لتبعثن"[١٨].

وقال أيضاً: "ولام الجر تجيْ بمعنى الواو كما ذكرنا مختصة أيضاً بلفظ (الله) في الامور العظام"[١٩].

وقد يعوض عن النطق بحرف القسم مع اسم الله تعالى (ها) التنبيه أو همزة الاستفهام فيقال: (ها الله ذا) أي (والله ذا)، و(لا ها الله ذا) "فاذا جئت بهاء

(١٦) الكشاف ٢/ ٣٣١ وانظر ٢/ ١٤٧ في قوله تعالى ﴿تالله لقد علمتم ما جئنا لنفسد في الارض﴾.
(١٧) كتاب سيبويه ٢/ ١٤٤.
(١٨) شرح الرضي على الكافية ٢/ ٣٦٥.
(١٩) شرح الرضي على الكافية ٢/ ٣٧٠، وانظر شرح ابن يعيش ٢/ ٩٨.

ألفاظ تستعمل في القسم

لعمرك :

هذا اللفظ يستعمل في القسم ومعنى (العَمْر) الحياة وهو (والعُمْر) و (العُمُر) شيء واحد يقال قد طال عَمْره وعُمْره ، ويستعمل في القسم المفتوح ليس غير فيقال[٢٤] : (لَعَمرك) ولا يقال : (لَعُمرك) واللام الداخلة عليه هي لام الابتداء، فمعنى لعمرك : لَحياتُك ، فهو مبتدأ وخبره محذوف تقديره : (قسمي) ، فيكون الكلام : حياتك قسمي والمراد أُقسم بحياتك .

وكذلك (لعمر الله) أي أقسم ببقاء الله ودوامه[٢٥] ، قال تعالى : ﴿لعمرك انهم لفي سكرتهم يعمهون- الحجر ٧٢﴾ فأقسم بحياة الرسول صلى الله عليه وسلم .

أيمن الله :

تستعمل (ايمن الله) في القسم ، يقال : (ايمن الله لاردّن عليه قوله) وهمزتها همزة وصل وقد اختلف في (ايمن) هذه فقيل "هو مفرد مشتق من (اليمن) وهو البركة أي بركة الله يميني "[٢٦] .

وعند الكوفيين هو جمع (يمين) جعلت همزة القطع فيه وصلا لكثرة الاستعمال[٢٧] .

وقد تصرفوا بهذه الكلمة لكثرة الاستعمال فقالوا : (أيمن الله) و (أيم الله) بحذف النون و (مُ الله) و (من ربي) وغير ذلك لان كثرة دوران الكلمة على الالسنة مدعاة الى التصرف فيها تخفيفا .

---

(٢٤) أنظر لسان العرب (عمر) ٩/ ٢٧٩- ٢٨٠.
(٢٥) لسان العرب ٩/ ٢٨٠ (عمر).
(٢٦) شرح الرضي على الكافية ٣٧٣/٢ ، شرح ابن يعيش ٩٢/٩.
(٢٧) شرح الرضي ٣٧٣/٢ ، شرح ابن يعيش ٩٢/٩.

جاء في (شرح ابن يعيش) : "اعلم أن اللفظ اذا كثر في السنتهم واستعمالهم آثروا تخفيفه وعلى حسب تفاوت الكثرة يتفاوت التخفيف ولما كان القسم مما يكثر استعماله ويتكرر دوره بالغوا في تخفيفه من غير جهة واحدة"[٢٨] .

عمرك الله :

هذا التعبير يستعمل قسماً وغير قسم ، فمن استعماله في القسم قولك (عمَرك اللهَ لافعلنّ) بفتح الهاء ، وقد يستعمل في قسم السؤال فيقال (عمرك اللهَ لاتفعل) قال :

ايها المنكح الثريا سهيلا عَمْرَك اللهَ كيف يلتقيان
هي شامية اذا ما استقلت وسهيل اذا استقل يماني[٢٩]

قالوا : ومعنى (عمرك الله) استحلفك بتعميرك اللهَ ، أي : باقرارك له بالبقاء[٣٠] ، فيكون (العمر) على هذا مصدرا والاصل عمّرك الله تعميرا فحذفت الزوائد من المصدر.

* وقد يكون على غير هذا المعنى فلا ينتصب على المصدر ولايكون قسما وذلك نحو قولك : (عمَرك اللهَ مافعل فلان؟) فيكون التقدير في نحو هذا (اسأل عمرك الله) أي اسأل الله أن يعمرك فيكون (عمرك) مفعولا أول و (الله) مفعولا ثانيا والمعنى (اسأل الله أن يطيل عمرك).

جاء في (لسان العرب) : "وقول عمر بن ابي ربيعة :

عمرك اللهَ كيف يجتمعان
يريد سألت الله أن يطيل عمرك"[٣١] .

---

(٢٨) شرح ابن يعيش ٩/٩٤.
(٢٩) شرح الرضي على الكافية ١/١٢٧-١٢٨.
(٣٠) انظر لسان العرب (عمر) ٩/٢٨٠ ، شرح الرضي على الكافية ١/١٢٧-١٢٨ ، شرح ابن يعيش ٩/ ٩١.
(٣١) لسان العرب (عمر) ٩/٢٨٠ ، شرح الرضي ١/١٢٨ ، شرح ابن يعيش ٩/٩١ الهمع ٢/٤٥.

وجاء في (شرح الرضي على الكافية) : "وعلى تأويلها [يعني عمرك الله وقعدك الله] بـ (أسأل تعميرك وتقعيدك) ليس معنى القسم ظاهراً فيها مع انها لايستعملان الاّ في القسم كما ذكرنا الا ان يقال : لما كانا للدعاء للمخاطب جريا مجرى قسم السؤال لأنه قد يبتدأ السؤال بالدعاء للمسؤول كأنه قيل : طوّل الله عمرك افعل لي كذا وكذا"[٣٢] .

وربما قيل (عمرك اللهُ) بضم الهاء فيكون لفظ الجلالة فاعلا أي : عمرك الله تعميرا[٣٣] .

والذي يبدو لي أنه دعاء على كل حال على المعنى الثاني أي الدعاء باطالة العمر ولكنه قد يضمن معنى القسم فيستعمل استعماله كما في (علم الله) و (علّي عهد الله) ونحو ذلك ، أولا يضمن بل يراد به الدعاء المحض .

قعدك الله :

يستعمل هذا في القسم فيقال : (قعدَك اللهَ لتفعلن) ، ويقال ايضا : (قعيدك الله) .

وقد اختلف في معنى (قعدَك اللهَ) فقيل إن معناها اسألك بحق قعدك الله ، أي بحق نسبتك اياه الى القعود أي الدوام والتمكن .

وقيل : المعنى (اسألك بحق قعيدك الذي هو الله) ومعنى (قعدك) قعيدك ، أي : ملازمك العالم باحوالك وهو الله . فـ (الله) عطف بيان لقعدك ويؤيد هذا التأويل قولهم : (قعيدك الله) بمعناه فالقِعْد والقعيد بمعنى المقاعد كالحلف والحليف"[٣٤] .

وقيل معنى "(قعدك الله وقعيدك) : الله معك ، أي رقيب عليك وحفيظ .

وقيل : مقاعدك وهو بمعناه وضمن معنى القسم . قال في الصحاح : على معنى

---

(٣٢) شرح الرضي على الكافية ١٢٨/١ .
(٣٣) شرح الرضى ١٢٨/١ .
(٣٤) شرح الرضي على الكافية ١٢٨/١ .

واما على المفعول به ، أي : اجعل الله قعيدك ، أي : تذكّر ان الله معك ، كما يقال في الدارجة : (اجعل الله بين عينيك اذا تكلمت) فيكون الغرض من هذا التعبير تحذير المخاطب وتخويفه الله الذي لايفارقه وليس مراداً به القسم.

هذا اذا كانا منصوبين.

اما اذا كانا مرفوعين أي (قعدُك اللهُ) و (قعيدُك اللهُ) فهما مبتدأ وخبر ، والمعنى : (الله مقاعدك) وهذا دعاء محض ليس فيه قسم والمعنى : (جليسك الله) أي الله قاعد معك يحفظك ويرعاك.

جاء في (القاموس المحيط) : "وَقَعْدُك اللهُ وُيكسَر ، وقعيدُك اللهُ ناشدتك الله وقيل كأنه قاعد معك بحفظه عليك أو معناه بصاحبِك الذي هو صاحب كل نجوى "(٣٨).

أو قد يكون اخباراً القصد منه تحذيره المخاطب وتخويفه الله الذي لايفارقه فيكون المعنى : الله معك وهو مقاعدك فراقبه فيما تقول أو تفعل على ماذكرنا في النصب والله اعلم.

وقوع (لا) قبل القسم :

تقع (لا) قبل فعل القسم كثيراً وخصوصا قبل الفعل (اقسم) فيقال (لاأقسم). قال تعالى : ﴿فلا أقسم بالشفق – الانشقاق ١٦﴾ وقال : ﴿لا أقسم بهذا البلد – البلد ١﴾ ، كما تقع قبل القسم من غير فعل القسم ، وذلك كقوله تعالى : ﴿فلا وربك لايؤمنون – النساء ٦٤﴾.

وحيثما أقسم الله في القرآن الكريم ذاكراً فعل القسم (اقسم) جاء بـ (لا) قبله فلم يقل مرة : اقسم بكذا ، بل كل ماورد (لا أقسم) قال تعالى : ﴿فلا أقسم بمواقع النجوم. وإنه لقسم لو تعلمون عظيم. إنه لقرآن كريم – الواقعة ٧٥ – ٧٧﴾.

وقال : ﴿فلا أقسم بما تبصرون ومالا تبصرون إنه لقول رسول كريم – الحاقة ٣٨ – ٤٠﴾.

(٣٨) القاموس المحيط (قعد) ٣٢٩/١.

وقال : ﴿فلا أقسم برب المشارق والمغارب إنّا لقادرون على أن نبدّل خيرا منهم وما نحن بمسبوقين- المعارج ٤٠-٤١﴾.

وقال : ﴿لا أقسم بيوم القيامة. ولا أقسم بالنفس اللوامة- القيامة ١، ٢﴾.

وقال : ﴿فلا أقسم بالخُنّس الجوار الكُنّس... انه لقول رسول كريم- التكوير ١٥-١٩﴾.

وقال : ﴿فلا أقسم بالشفق. والليل وما وسق. والقمر اذا اتسق. لتركبُنّ طبقا عن طبق- الانشقاق ١٦-١٩﴾.

وقال : ﴿لا أقسم بهذا البلد. وأنت حِلّ بهذا البلد- البلد ١، ٢﴾.

واما بغير فعل القسم فلم يرد ذلك الاّ في قوله تعالى ﴿فلا وربك لايؤمنون حتى يحكّموك فيما شَجَر بينهم- النساء ٦٤﴾.

والنحاة في ذلك على مذاهب :

فمنهم من ذهب الى أن (لا) قبل القسم زائدة تفيد التوكيد فمعنى (لا أقسم بيوم القيامة) : اقسم بيوم القيامة.

جاء في (الكشاف) في قوله تعالى : ﴿لا أقسم بيوم القيامة﴾ : "ادخال (لا) النافية على فعل القسم مستفيض في كلامهم واشعارهم. قال امرؤ القيس :

لا وأبيك ابنة العامريّ لايدّعي القوم أني أفر

وقال غوية بن سلمى :

الا نادت امامة باحتمال لتحزنني فلا بك ما ابالي

وفائدتها توكيد القسم. وقالوا انها صلة مثلها في ﴿لئلا يعلم اهل الكتاب﴾[٣٩].

وفي قوله :

في بئر لاحور سرى وما شعر

واعترضوا عليه بأنها تزاد في وسط الكلام لا في أوله.

---

(٣٩) الحديد ٢٩.

واجابوا بأن القرآن في حكم سورة واحدة متصل بعضه ببعض.

والاعتراض صحيح لانها لم تقع مزيدة الاّ في وسط الكلام ولكن الجواب غير سديد، الاترى الى امرىء القيس كيف زادها في مستهل قصيدته"(٤٠).

وقيل إنها زيدت على نية الرد على المكذبين.

جاء في (تأويل مشكل القرآن) : "واما زيادة (لا) في قوله : ﴿لا أقسم بيوم القيامة ولا أقسم بالنفس اللوامة﴾ وقوله ﴿فلا أقسم بالشفق والليل وما وسق﴾ ... فانها زيدت في الكلام على نية الرد على المكذبين ، كما تقول في الكلام : (لا والله ماذاك كما تقول) ، ولو قلت (والله ماذاك كما تقول) لكان جائزا غير أن إدخالك (لا) في الكلام أولا ابلغ في الرد"(٤١).

وقيل : ان (لا) نافية واختلفوا في هذا النفي فمنهم من ذهب الى انه يفيد نفي أمر سابق قبل القسم ، ففي قوله (لا أقسم بيوم القيامة) : "كأنهم انكروا البعث فقيل : لا ، أي : ليس الامر على ماذكرتم ثم قيل : اقسم بيوم القيامة"(٤٢).

وفي قوله:(فلا وربك لايومنون): "التقدير ليس الامر كما يزعمون انهم آمنوا وهم يخالفون حكمك ثم استأنفت القسم"(٤٣).

وذهب الزمخشري الى أنها للنفي والمقصود بذلك إعظام المقسَم به فكأنه قال : انا لااعظّمه بالقسم فهو معظّم بغير القسم. قال : "والوجه أن يقال : هي للنفي ، والمعنى في ذلك انه لايقسم بالشيء الاّ إعظاماً له يدلّك عليه قوله تعالى ﴿فلا أقسم بمواقع النجوم وانه لقسم لو تعلمون عظيم﴾ فكأنه بادخال حرف النفي يقول : إن إعظامي له باقسامي به كلا إعظام يعني أنه يستأهل فوق ذلك"(٤٤).

---

(٤٠) الكشاف ٣/٢٩١-٢٩٢ وانظر في ١/٤٥ قوله تعالى ﴿فلا وربك لايؤمنون﴾.

(٤١) تأويل مشكل القرآن ١٩١-١٩٢ وانظر التفسير الكبير للرازي في ١٠/١٦٣ قوله تعالى ﴿فلا وربك لايؤمنون﴾.

(٤٢) الكشاف ٣/٢٩٢.

(٤٣) التفسير الكبير للرازي ١٠/١٦٣.

(٤٤) الكشاف ٣/٢٩٢.

وقيل : إنها لتوكيد النفي الذي جاء فيما بعد[٤٥] .

جاء في (الكشاف) : "فان قلت : قوله تعالى ﴿فلا وربك لايؤمنون﴾ والابيات التي انشدتها المقسم عليها فيها منفي فهلا زعمت أن التي قبل القسم زيدت موطئة للنفي بعده ومؤكدة له وقدّرت المقسم عليه المحذوف هنا منفيا كقولك : لا أقسم بيوم القيامة لاتتركون سدى .

قلت : لو قصر الامر على النفي دون الاثبات لكان لهذا القول مساغ ولكنه لم يقصر. الا ترى كيف لقى (لا أقسم بهذا البلد) بقوله ﴿لقد خلقنا الانسان﴾ وكذلك (فلا أقسم بمواقع النجوم) بقوله : انه لقرآن كريم؟"[٤٦] .

وجاء في (بدائع الفوائد) أن (لا) : "اقحمت أول القسم إيذانا بنفي المقسم عليه وتوكيداً لنفيه كقول الصديق (لاها الله لاتعمد الى اسد من اسد الله) الحديث"[٤٧] .

وقال محمد عبده في تفسير جزء عمّ : «ان (لا أقسم) عبارة من عبارات العرب في القسم يراد بها تأكيد الخبر كأنه في ثبوته وظهوره لايحتاج الى قسم ، ويقال إنه يؤتى بها في القسم اذا اريد تعظيم المقسم به كأن القائل يقول : اني لا أعظمه بالقسم لانه عظيم في نفسه»[٤٨] .

وذهبت بنت الشاطئ الى أن القصد من ذلك التأكيدُ" والتأكيد عن طريق النفي ليس بغريب من مألوف استعمالنا فأنت تقول لصاحبك : لا أوصيك بفلان تأكيداً للوصية ومبالغة في الاهتمام بها كما تقول : لن ألحّ عليك في زيارتنا ، فتبلغ بالنفي مالا تبلغه بالطلب المباشر الصريح"[٤٩] .

---

(٤٥) انظر التفسير الكبير ١٠/١٦٣ .

(٤٦) الكشاف ٣/٢٩٢ ، وانظر ١/٤٠٥ في قوله تعالى : ﴿فلا وربك لايؤمنون﴾ .

(٤٧) بدائع الفوائد ١/١٠١ .

(٤٨) اساليب القسم في اللغة العربية ١٥٠ ، وانظر تفسير جزء عمّ لمحمد عبده – سورة البلد.

(٤٩) اساليب القسم في اللغة العربية ١٥٠ – ١٥١ .